

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٢٤٣):

﴿ تِلْكَ ﴾ العظيمة العزيمة ﴿ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ تكوينية وتشريعية ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ ﴾ يا حامل الرسالة الأخيرة، وحامل الرسالات كلها ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ آيات بالحق، نتلوها عليك بالحق، بسبب الهدف الحق، ومصاحبة الحق، ولكي تهدي العالمين إلى صالح الحياة الإيمانية بمكافحة دائبة ضد الظلم والطغيان، جهاداً دائماً في فسيح الزمان ووسيع المكان، حفاظاً على صالح الحياة طرداً لفاسدها ﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ بهذه الرسالة السامية، التي تحقق كل الرسالات الإلهية.

= يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة»، قالوا يا رسول الله ﷺ فيم أدركوها؟ قال: بالسنة والنصيحة للمسلمين، وفيه أخرج أبو نعيم في الحلية وابن عساكر عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: إن الله ﷻ خلق ثلاثمائة قلبهم على قلب آدم ﷺ، والله في الخلق أربعون قلبهم على قلب موسى ﷺ، والله في الخلق سبعة قلبهم على قلب إبراهيم، والله في الخلق خمسة قلبهم على قلب جبرئيل ﷺ، والله في الخلق ثلاثة قلبهم على قلب ميكائيل ﷺ، والله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرئيل ﷺ، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة، فيهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء، قيل لعبد الله بن مسعود كيف بهم يحيي ويميت؟ قال: لأنهم يسألون الله إكثار الأمم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون ويسألون فينبت لهم الأرض ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء.

وفيه أخرج أبو داود والحاكم وصححه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، فيه عن النبي ﷺ أن الله يقيض في رأس كل مائة سنة من يعلم الناس السنن وينفي عن النبي ﷺ الكذب.

وفيه أخرج أحمد والحكيم الترمذي وابن عساكر عن علي ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقي بهم الغيث ويتنصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب - وفي لفظ ابن عساكر - ويصرف عن أهل الأرض البلاء والغرق.

وفيه أخرج الخلال في كتاب كرامات الأولياء عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: إن الله ليدفع عن القرية بسبعة مؤمنين يكونون فيها.

﴿ تَلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ ﴾ عبرة لأولي الألباب عبر الزمان والمكان ما عاش إنس أو جان، لا سيما آية الدفع، ولكي تصغي إليها آذان صاغية من هذه الأمة المرحومة، فتعيش كل حياتها دفاعاً عن الحق، فلا تتأسن الحياة وتتعض بالتكاسل والتخاذل من هؤلاء الذين حملوا راية الإصلاح والإصلاح، ولا يظنوا أن الإصلاح إنما هو بيد صاحب الأمر، وأما الذين قبله فليس لهم أمر إلا السكوت والخنوع أمام السلطات الكافرة.

ومن دفع الله الناس بعضهم ببعض أن يدفع بعض الناس ببعض إلى صالح الحياة الجماعية وكما تعنيه آية السخري: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَيْكَ حَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١).

فإن في تسخير الفاقد لشيء الواجد له اكتمالاً لنفسه فيما فقده وإكتمالاً لغيره فيما يحتاجه، إن في ذلك تجاوباً في الحصول على حاجيات الحياة، إذ لا يتمكن أي أحد مهما بلغ من القوة والعبقرية أن يكون مستغنياً في الحياة عن سواه، مستقلاً فيها، اللهم إلا مستغلاً ومستغلاً تكافئاً في مختلف الحاجيات الحيوية.

هذا - ولكن الدفع هنا معدى بـ «إلى» المقدره، وفي الأولين بـ «عن»: دفعاً عن المحاذير، أو دفعاً إلى المصلح، الجامعان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهما شمل النهي إخفاق أثر المنكر بواقع المعروف من الصالحين كما في ثاني المحتملين الأولين.

﴿ تَلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

أَقْتَلِ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾:

الصلة البارزة بين هذه الآية وما قبلها قد تكون بـ ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إذ قد تخيل أن الرسل على سواء في فضائل الرسالة وأنت منهم، ولكنه لا، بل: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾ في الفضائل الذاتية علمية وروحية معرفية، في الفضائل الدعائية وما حملوه من شرعة الله، فليسوا هم على سواء لأنهم - ككل - رسل الله، بل فيهم تفاضل كما في سائر الناس، وكل ذلك بما فضل الله، تفضيلاً فضيلاً بحكمة بارعة ربانية دونما فوضى جزاف، ف:

﴿تِلْكَ﴾ البعيدون عن الآفاق البشرية في كل الأبعاد الروحية والعملية بسناد وحي العصمة عصمة الوحي.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ كل الرسل، تحليقاً على كافة رجالات الرسالات، بازغة من آدم ﷺ وخاتمة إلى خاتم الرسل محمد ﷺ - وبينهما متوسطون - ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ضابطة إجمالية في ذلك التفضيل الفضيل دونما ذكر لمادة الفضيلة إلا لمحة إنها في فضائل الرسالة، ولا ذكر لمن حملها، وإنما كل ما هنا ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ليذهب إلى خلد السامعين كل مذهب في مفضل بفضله.

ثم يذكر أمثلة ثلاثة لذلك التفضيل، منها مثالان في موسى والمسيح ﷺ، كلٌّ يحمل فضيلة واحدة على من يفقدها، فموسى ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ -: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١) دونما وسيط ملك الوحي، مهما كان يحمله وسيط نار النور في الشجرة إمامية، والمسيح ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ من بيّنة الولادة العجيبة وتكلمه في المهد صبيّاً، ثم البيئات

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

الرسالية الأخرى كما الرسولية، وهو منقطع النظير في هذه المجموعة بين كل بشير ونذير.

ثم المثال الأجل الأمثل والأفضل، الذي لا يُداني، ولا يساوى أو يُسامى في حقل الرسالة الإلهية، من لا تحمل فضائله هذه القصيرات من الكلمات، من ﴿كَلَّمَ اللَّهُ - و - أَلْبَيَّنْتَ﴾ : ﴿وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ لا درجة واحدة كالموسى والمسيح وأضرابهما ﷺ ولا على بعض دون بعض، وكما لإبراهيم فضل عليهما في غير ما ذكر لهما، بل ﴿وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ﴾ على الكل دون إبقاء ﴿دَرَجَاتٍ﴾ في كل الأبعاد الرسولية والرسالية مادة ومدة، عدة وعدة، فضائل ذاتية ورسالية وكتابية وفي الشريعة القرآنية فـ ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ تجمع بعض التفضيل - كتفضيل لبعض على بعض، كما في المذكورين وغيرهما إلى كل التفضيل على الكل كما هنا ﴿وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ وليس درجة كما فيهما، أو على بعض كما هما، وإنما «رفع» رفعاً شاملاً لم يعبر عنه بتفضيل ﴿بَعْضُهُمْ﴾ الخاص بواحد منهم ﴿دَرَجَاتٍ﴾ دون «على بعضهم درجات». ألا وذلك البعض هو:

«أول العابدين»: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾^(١)، إذاً فكل المرسلين هم في الرتبة التالية لأول العابدين، و«رحمة للعالمين»: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) ولا نجد هذه الرحمة العالمية في الذكر الحكيم لمن سواه من المرسلين!^(٣) لا فحسب بل هو أفضل الخلق أجمعين

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠.

(٣) في إنجيل القديس برنابا الحواري (٤٣ : ١٣ - ٣١) يقول: «(١٣) الحق أقول إن كل نبي متى جاء إنما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله (١٤) ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه (١٥) ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم بيده (١٦) فيحمل خلاصاً ورحمة للأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه (١٧) وسيأتي بقوة على الظالمين =

وكما قال ﷺ: «ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني» فقال علي عليه السلام: «أفأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال: يا علي إن الله تعالى فضّل أنبياء المرسلين والفضل بعدي لك يا علي وللائمة من بعدك وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا^(١) . . . ورسولاً إلى النبيين أجمعين: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ قال: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٢) وكما يروى عنه ﷺ: «آدم ومن دونه تحت لوائي» و«كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»، وأطهر المطهرين: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٣)، وإن كتابة خالد مهيمن لما بين يديه فهو كذلك مهيمن على الرسل بين يديه ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾^(٤).

وأنه خاتم النبيين، لا يصدق نبي إلا بختمه وتصديقه كما لا يبعث نبي ولا رسول بعده: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٥).

وإن معجزته الخالدة تفوق معجزاتهم في كمها وكيفها، فأما كمها فقرابة ألفين ومائتين في القرآن نفسه إذ تحدى بسورة من مثله وأقصر سورة منه وهي

= (١٨) ويبيد الأصنام بحيث يخزي الشيطان (١٩) لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلاً: انظر فإنني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيماً هكذا سيفعل نسلك . . . (٣١) صدقوني لأنني أقول لكم الحق: «إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق».

(١) نور الثقلين ١: ٢٥٤ في عيون الأخبار بإسناده إلى علي بن موسى عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ: . . .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

الكوثر تحمل آيات ثلاث، فكل ثلاث معجزة خارقة، ثم وكيفها إنه دائم دوام شرعته إلى يوم القيامة غير فاشل في حجته ولا منسوخ، بل يزداد بهوراً وظهوراً على تقدّم العقل والعلم.

ولئن كلم الله موسى تكليماً في حجاب النور النار من الشجرة المباركة على الطور، فقد كلم الله محمداً ﷺ بلا أي حجاب عند السدرة المنتهى ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (١) ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِي مَا أَوْحَىٰ﴾ (٢).

ولئن لم يستطع موسى أن يرى ربه بقمة المعرفة إذ قال: ﴿كُن تَرَبِّي﴾ فقد رآه محمد ﷺ عند السدرة بنور اليقين: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ - ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (٤).

قد يروى عنه ﷺ في معترك الآراء فيمن هو أفضل - قوله: «ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأنا أول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح لي فأدخلها ومعني فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر» (٥).

قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، و«لا يدخل الجنة أحد من النبيين حتى أدخلها أنا، وقال: أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم

(١) سورة النجم، الآية: ١٥.

(٢) سورة النجم، الآية: ١٠.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٤) سورة النجم، الآية: ٩.

(٥) تفسير الفخر الرازي ٦: ١٩٧ عن ابن عباس قال جلس ناس من الصحابة يتذكرون فسمع رسول الله ﷺ حديثهم فقال بعضهم عجباً إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلمة تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج رسول الله ﷺ وقال: قد سمعت كلامكم وحجتكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله . . .

إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر^(١).

ولقد تطامن عيسى ابن مريم صاحب البيئات والمؤيد بروح القدس أمام محمد ﷺ وكما ينقله عنه القديس برنابا الحواري في إنجيله بكل تبجيله: ومع أنني لست مستحقاً أن أحل سير حذائه قد نلت نعمة ورحمة من الله لأراه.

٢ - فأجاب حينئذ الكاهن مع الوالي والملك قائلين: لا تزعج نفسك يا يسوع قدوس الله فإنّ هذه الفتنة لا تحدث في زمننا مرة أخرى.

٣ - لأننا سنكتب إلى مجلس الشيوخ الروماني المقدس بإصدار أمر ملكي أن لا أحد يدعوك فيما بعد الله أو ابن الله.

٤ - فقال حينئذ يسوع إن كلامكم لا يعزيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور.

٥ - ولكن يعوزني في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب فيّ وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم.

٦ - وإن ما يعزيني هو أن لا نهاية لدينه لأن الله سيحفظه صحيحاً.

٧ - أجاب الكاهن: أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول الله.

٨ - فأجاب يسوع لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله.

٩ - ولكن يأتي عدد غفير من الأنبياء الكذبة وهو ما يحزنني.

١٠ - لأن الشيطان سيثيرهم بحكم الله العادل فيتسترون بدعوى

إنجيلي...

١٣ - فقال الكاهن ماذا يسمى مسياً وما هي العلامة التي تعلن مجيئه.

(١) تفسير الفخر الرازي ٦: ١٩٧.

١٤ - أجاب يسوع إن اسم مسيّا عجيب لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي .

١٥ - قال الله : اصبر يا محمد لأنني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجمّاً غفيراً من الخلائق التي أهبها لك حتى أن من يباركك يكون مباركاً، ومن يلعنك يكون ملعوناً .

١٦ - ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة حتى إن السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لا يهن أبداً .

١٧ - إن اسمه المبارك «محمّد» .

١٨ - حينئذٍ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : «يا الله أرسل لنا رسولك» (٩٧ : ١ - ١٨) (١) .

ذلك ، وكثير أمثاله ، كما يقول موسى الذي كلمه الله تكليماً : «هذه بركة باركها موسى رجل الله بني إسرائيل عند موته . ١ - وقال : الله من سيناء جاء ، تجلى من ساعير ، تلعلع من جبل فاران وورد مع آلاف المقدسين ، من يمينه ظهرت الشريعة النارية» (٢) .

فهذه ظهورات ثلاث ربانية رسالية ، من سيناء موسى ومن ساعير عيسى ومن فاران محمد صلوات الله عليهم أجمعين ، وفي الأخيرة ميزة التلعلع تشريفاً له بآلاف المقدسين ، وإن شريعته نارية قوية أقوى من كل شرعة إلهية (٣) .

أجل فقد ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ على من كلم الله وأوتي البيئات وأيد بروح القدس ، حيث أوتي ما أوتينا وأتوا وزيادة خالدة تحلق على كافة

(١) لاطلاع أكثر راجع كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» .

(٢) (التثنية ٣٣ : ١ - ٢) .

(٣) لاطلاع أكثر راجع كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» .

الدرجات الرسولية والرسالية، بهيمنة عالية متعالية عليها، لحدّ يعبر عنه بالرسول دون سائر الرسل، كأنه هو الرسول فقط، ويعبر عن وحيه بـ ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ حين يعبر عن سائر الوحي بالوصية: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾ (١)!

ويعبر عنه بين الشهود الرساليين بشهيد الشهداء وبكتابه تبياناً لكل شيء: ﴿وَيَوْمَ نَبِّئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٢)، كما وهو رسول إلى النبيين: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ...﴾ (٣)، وحين يقسم الله بعمر لا يقسم بينهم إلا بعمره: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٤).

ذلك! وقد ارتسمت للبشرية في هذه الرسالة الطليقة، الحقيقة بالخلود، هندسة البناء لكل ما يتبناه ما طلعت الشمس وغربت، إعلاناً صارحاً صارحاً بذلك المنهج الواسع الذي يسع كل النشاطات البشرية - أماهية - المقبلة، إماماً لها على طول خطها إلى يوم الدين، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ...﴾.

«لو» هنا تحيل مصلحياً تلك المشيئة التكوينية المسيرة لترك الاقتتال من بعد الرسل، فالرسالة الإلهية هي رمز الوحدة الدينية القاضية على كل الخلافات الضارية، المنتهية إلى الاقتتال.

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٧٢.

فلو شعرت البشرية على ضوء البينات الرسالية أن الرسالة واحدة الاتجاه، لم تختلف في شرعة الله ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾^(١) ولم تترك هذه الشرعة إلى سواها من مختلفات مختلقات، ولكنها اختلفت فيها بعد ما شرعت إيماناً وكفراً، ثم الذين أوتوه اختلفوا فيها بغياً بينهم، فنشبت في هذه الخلافات والاختلافات اقتتالات: ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ كفراً بأصل الرسالة، أم كفراً جانبياً بمادة الرسالة تحريفاً لها وتجديفاً، أم صموداً على رسالة منسوخة بأخرى.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا﴾ بأن يجعل لهم - ككل - شرعة واحدة، ثم يحملهم عليها إزالة لاختيارهم، ولكن الشرعة الواحدة قليلة الابتلاء: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا... لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَكُمُ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾^(٢).

وكما والشرعة المسير إليها فاقدة الابتلاء، والدنيا هي دار التكليف والابتلاء: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من صالح العباد في أصل الشرعة وعديدها، وفي عدم التسيير على ترك القتال.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣):

إن الإنفاق من رزق الله هو قضية الإيمان، و﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ تعم كلما يمكن إنفاقه ويحل من مال أو حال: إرشاداً عقلياً أو علمياً، أم أي إنفاق صالح دون إفراط ولا تفريط.

﴿أَنفِقُوا... مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ﴾ وهو يوم

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٨.